تجربةُ التحديثِ فِي فرنْسا منذُ عام ١٨٧٠

ا. د. بيداء محمود أحمد

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

https://doi.org/10.61353/ma.0060049

تاريخ استلام البحث ٢٠٢١/٤/١ تاريخ قبول البحث ٢٠٢١/٦/٢٧ تاريخ نشر البحث ٢٠٢١/٩/٣٠

تعدّ تجربة التحديث في فرنسا، واحدة من أهم التجارب العالمية، وهي تناظر التجربة الالمانية في التحديث ، وإن اختلفت التجربتان في صفاتهما القومية، يتناول البحث موضوع التحديث في فرنسا، وهي التجربة التي عمدت إليها فرنسا بعد أن خرجت متدمرة في الحرب العالمية الثانية على يد القوات الالمانية، لتبدأ حملة تحديث واسعة ، تركزت على المجالات الاقتصادية من أجل إعادة البناء، فضلاً عن التحديث العسكري ، وتوظيف العلم والتكنلوجيا لتطوير مشاريعها المختلفة، وجاء البحث في مبحثين ، وستكون الحرب العالمية الثانية فاصلاً بينهما ؛ لإنَّ التجربة قامت بعد هذا التاريخ، إلّا أنَّها استندت إلى الموروث التاريخي والحضاري والقيمي الفرنسي.

The term modernization refers to those policies and activities undertaken by a state to move from one state to a better state on the economic, political, military and social levels, and this transition becomes necessary after those states go through a state of decline or deterioration, for various reasons, either because of the results of wars, or Because of economic problems, or because of a reality, experienced by those countries that remained for years under colonial control, plundered their resources and negatively affected their economies

الكلمات المفتاحية: التحديث، فرنسا، الصفات القومية، الحرب العالمية الثانية.

المقدمة

يشير مصطلح التحديث إلى تلك السياسات والفعاليات ، التي تقوم بها دولة ما للانتقال من حال إلى حال أفضل على المستويات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية، وهذه الانتقالة، تصبح ضرورية بعد أن تمرّ تلك الدول بحالة من التراجع أو التردي، لأسباب مختلفة، إمّا بسبب نتائج الحروب، أو بسبب المشاكل الاقتصادية، أو بسبب واقع ما، تعيشه تلك الدول التي بقيت لسنوات تحت السيطرة الاستعمارية ، ونهبت مواردها وأثرت سلبا في اقتصادياتها.

أمّا فرنسا موضوع البحث فأنَّ التحديث أصبح مطلوبا بعد خروجها من دمار الحرب العالمية الثانية، إذ عانت من الحرب مع المانيا ، بعد أن خرجت متدمرة تعيش واقعا اقتصاديا مترديا، ولولا سياسات التحديث لم تكن فرنسا لتنهض ، وتصبح واحدة من أقوى الدول الاوروبية ، ومتفوقة على صعيد الاتحاد الاوروبي أيضاً ، حينما كان لها دور قيادي فيه لسنوات طويلة.

استمرت العقلية القيادية الفرنسية تنظر لفرنسا بأنَّها الامبراطورية الاوروبية ، التي كان لها تاريخ طويل من السيطرة على الأراضي في قارات مختلفة، في اسيا وافريقيا وامريكا الشمالية، وهي عقلية تستند إلى تاريخ من السيطرة الفرنسية على جزء كبير من اوروبا ايام حكم نابليون بونابرت الأول أيضاً، ولذلك فأنَّ إرث القوة الامبراطورية والسطوة العالمية كان مفتاحا لعملية التحديث التي جرت في فرنسا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ولاسيما التحديث في المجال الاقتصادي ، مرفودا بتحديثات أخرى في المجالات السياسية ، والعسكرية ، والتطور العلمي والتكنلوجي.

في هذا البحث سنتناول عملية التحديث في فرنسا عبر مبحثين، الأول سيناقش الأوضاع الفرنسية ودورها الاوروبي والدولي منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، أمّا المبحث الثاني فسيناقش تجربة التحديث بعد الحرب العالمية الثانية وصولا إلى التاريخ القريب. وقد شكلت الحرب العالمية الثانية تاريخا فاصلا في بحثنا ؛ لإنَّ الوضع الفرنسي تغير كثيرا بعد تلك الحرب لتصبح التجربة الفرنسية واحدة من أهم تجارب التحديث في اوروبا والعالم.

المبحث الأول: تجربة الاصلاح الأولى منذ عام١٨٧٠ حتى الحرب العالمية الأولى.

ترتبط خصوصية تجربة التحديث الفرنسية بأربعة عوامل: جغرافية ، وسكانية، وتاريخية، وفكرية:

أولا- على الصعيد الجغرافي :

تقع فرنسا في الجنوب الغربي لاوروبا، كما موضح بالخريطة، وتبلغ مساحتها القارية

المصدر: حسن عبد العزيز احمد، جغرافية أوروبا دراسة موضوعية، دار المريخ للنشر، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٢١.

(في قارة اوروبا فقط) نحو ٥٥١,٦٩ الف كم^2، بينما مساحتها مع الأقاليم ما وراء البحار ، تبلغ ٦٧٤,٨ الف كم^2، وموقعها الفلكي بين دائرتي عرض ٤٢- ٥١ درجة شمالاً، ولخطوط الطول بين خطي ٢- ٨ درجات شرق خط غرينتش، وهو ما يجعلها واقعة ضمن المناطق المعتدلة، وتطل على البحر من ثلاث نقاط : على المحيط الاطلسي غربا ، وعلى البحر المتوسط من جهة الجنوب الشرقي، وعبر مقاطعاتها المتعددة فيما وراء البحر، ويبلغ عموم طول سواحلها المرتبطة بأوروبا ٣٤٢٧ كم[١] .

وتدرك فرنسا أهمية جغرافيتها ، التي تتيح لها انفتاحاً كبيراً ومرناً على أهم المحيطات والبحار العالمية، فقد سبق لنابليون بونابريت أن قال :"إنّ سياسة الدولة تقوم في جغرافيتها"[٢].

وعرفت أرض فرنسا باسم أرض (الغال ، التي تشمل كلّ من فرنسا الحالية والمانيا وسويسرا وشمال ايطاليا)، واحتلت من قبل الرومان عام ٥١ ميلادي ، واستمروا فيها قرابة خمسة قرون، واسم فرنسا تمّ اشتقاقه من كلمة (فرانك، أو فرنجة) وهي قبائل جرمانية دحرت الرومان ، واستوطنت أرض فرنسا، والفرنجة هم من أصول جرمانية هاجرت من الشمال وشمال غرب اوروبا واستوطنوا أرض فرنسا بحدود القرن السادس الميلادي، ولم تظهر دولة باسم فرنسا إلّا بعد أن سقطت روما، وبعد سقوط روما ظهرت مملكة الفرنجة ، التي انقسمت لاحقاً إلى دولة شرقية وأخرى غربية، أمّا الدولة الشرقية فاطلق عليها لاحقا اسم المانيا، أمّا الدولة الغربية فأُطلق على الأرض والشعب اسم مملكة فرانسيا، بموجب معاهدة فردان عام ٨٤٣ ميلادي، التي قسمت الامبراطورية الكارونجية إلى ممالك، وظهر في العصور الوسطى، اوغو كابيه ويعرف هيو كابيت (٩٤١- ٩٩٦ ميلادي) كأول ملك من سلالة كابتيون على الفرنجة، واستمر حكم هذه السلالة حتى عصر الملك لويس فيليب الأول Louis-Phillppe ، الذي استلم العرش (١٨٣٠-١٨٤٨)، الذي أطيح به عام ١٨٤٨، وقامت الجمهورية الفرنسية الثانية، وتحوّل اسم المملكة إلى فرنسا في عصر فيليب أغسطس الذي حكم للفترة (١١٨٠- ١٢٢٣ميلادي).[٣]

ثانيا-على الصعيد السكاني:

إنَّ الاحصاءات الرسمية (الحكومية)، لعدد السكان انتظمت عام ١٨٠١ ميلادي، وقبل هذا التاريخ، ثمة تقديرات غير رسمية لعدد السكان من بينها تقديرات عام ١٧٩٢ (بعد الثورة الفرنسية) ، التي قدرت عدد السكان نحو ٢٨ مليون نسمة، أمّا التقديرات الرسمية التي بدأت منذ عام ١٨٠١، ومن بينها تقديرات عام ١٨٧١، فقد قدرت عدد السكان ب ٣٧,٦٥ مليون نسمة، وارتفع هذا العدد ؛ ليصبح ٣٩,٩٤ مليون نسمة وفقاً لتقديرات عام ١٨٩٢، ثم ٣٩,١ مليون نسمة وفقاً لتقديرات عام ١٩١٩ أيّ بعد الحرب العالمية الأولى، ونحو ٤١,٥٢ مليون نسمة في عام ١٩٣٨ (قبل الحرب العالمية الثانية)، ونحو ٤٠,٥ مليون نسمة في عام ١٩٤٥ (اي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية)، ونحو ٥٦,٣٣ مليون في عام ١٩٩٠، ونحو ٦١,٣٩ مليون نسمة في عام ٢٠٠٥[٤].

إنَّ معظم سكان فرنسا يرجعون إلى الاثنية الفرنسية، وهي مزيج منصهر ينحدر من أصول جرمانية ورومانية، وشعب الكلت (مجموعة هندو- اوروبية)، وأصول نورمندية أخرى، إلى جانب شعب الغال (الأصول الأولى التي استوطنت أرض فرنسا)، كلها اجتمعت ، وانصهرت عبر التاريخ لتعطي لفرنسا خصوصيتها الثقافية، إلى جانب تزاوج اللغات للجماعات القومية الأولية لتعطي لفرنسا لغتها القومية(٥).

ومنذ القرن السادس عشر حدث تحوّل كبير على أصول السكان الفرنسيين، فمن جهة أنَّ فرنسا (الداخل) كانت تضمّ نسبة ٩٧% فرنسيين، بينما اتجهت موجات هجرة فرنسية كبيرة إلى الخارج، فحسب احصاءات عام ٢٠٠٠ هناك نحو ٩,٦٦ مليون مواطن من أصول فرنسية في الولايات المتحدة، أو نحو ٣,٦% من سكان الولايات المتحدة، إلى جانب ٦,٢ مليون مواطن من أصول فرنسية أو نحو ١٣,٢% من سكان كندا، ويوجد في دول أخرى لاتينية وفي استراليا وفي غرب افريقيا وشمالها نحو ١١,٩ مليون مواطن من أصول فرنسية، وإنَّ عدد من الفرنسيين هاجر إلى دول اوروبية خلال القرون المختلفة، فنحوا ٣٦,٨% من سكان بلجيكا هم من أصول فرنسية أو نحو ٤,٢ مليون مواطن، ونحو ١٦,٥% أو نحو ١,٤٨ مليون مواطن من سكان سويسرا هم من أصول فرنسية، إلى جانب اقليات في لوكسيمبورغ واسبانيا وسواها، بفعل موجات الحروب التي دخلتها فرنسا عبر تاريخها في اوروبا ، ولاسيما أثناء عهد نابليون بونابرت في مستهل القرن التاسع عشر(٦).

وإلى جانب ذلك، فإنَّ احتلال فرنسا لبعض الأراضي ما وراء البحار، جعلها تمنح الجنسية الفرنسية لأفراد ملونين، وهؤلاء هاجر بعضهم إلى فرنسا، إلى جانب هجرة مجاميع أخرى خدموا في الجيوش الفرنسية ، وقد حاربت عبر العالم ولاسيما في الحربين العالميتين الأولى والثانية، ومنح قسم من هؤلاء الجنسية الفرنسية، كما هاجر قسم من سكان اسيا وافريقيا إلى فرنسا في أوقات متباينة وتحديدا في النصف الثاني من القرن العشرين ، ومعظمهم من شعوب احتلتها فرنسا في القرون الثامن عشر والتاسع عشر وبدايات القرن العشرين، حتى أصبح نسبة المهاجرين نحو ١١,١ % من اجمالي عدد السكان في عام ٢٠٠٠(٧).

ثالثا – على الصعيد التاريخي :

كان التاريخ الفرنسي مندمجاً بالحضارة الرومانية، ثم أخذ يستقل عنها، إلّا أنَّ اتجاه فرنسا إلى اظهار ملامح كيانها القومي، والبحث عن التوسع الخارجي جاء متأخر نسبياً مقارنة بكلّ من اسبانيا والبرتغال وهولندا، وكانت اول جهود فرنسا لتشكيل مستعمرات لها فيما وراء البحار عام ١٦١٢ وهي في مدينة جويانا الفرنسية قرب البرازيل، وذلك بعد نحو ١١٦ عام على حملات الاستكشاف الفرنسية حول العالم ، التي انطلقت عام ١٥٠٠ ميلادي، وقبل ذلك كانت محاولات فرنسا لفتح أراضي في العالم الجديد تجابه بقمع من اسبانيا والبرتغال، وعلى الرغم من ذلك أسس الفرنسيون المرفأ الملكي في مستعمرة اكاديا في كندا، عام ١٦٠٥، ثم آخر في كيوبيك في كندا عام ١٦٠٨، واتجهت بعدها فرنسا إلى تأسيس مجلس الشورى الملكي عام ١٦٥٠ ، وأسست لها مستعمرات تجارية في العالم الجديد، واتجهت عام ١٦٦٥ لتطوير مستعمرات سكانية في العالم الجديد ، وأخذت تزداد مستعمراتها في نهاية القرن السابع عشر عندما أسست شركة الجزر الامريكية ، وعدد من المستعمرات إلى جانب الاهتمام بممارسة تجارة الرقيق من افريقيا، وأصبحت منفتحة على المستعمرات في العالم الجديد وافريقيا، إلّا أنَّ اهتمامها ببناء المستعمرات حول العالم لا يكافئ الاهتمام الانكليزي في حينه، ولعل السبب في قلة الاهتمام هذا، هو تركيز فرنسا على التوسع داخل اوروبا، حتى أنَّ فرنسا كانت تضحي بمعظم مستعمراتها لصالح بريطانيا في مقابل مزيد من النفوذ في اوروبا ومنه ما جرى في معاهدة اوترخت الموقع عليها في ١١ نيسان ١٧١٣[٨]، إلّا أنَّ فرنسا عادت للمنافسة على المستعمرات بعدها، ودخلت بمنافسة قوية مع انكلترا في منتصف القرن الثامن عشر، شملت مناطق واسعة من العالم، باستثناء اوروبا التي لم تتورط بها انكلترا بالمنافسة الاستعمارية.

إنَّ الخلفية الاستعمارية لفرنسا، سمحت لها بأن تمتلك إرثاً سياسياً وثقافياً متنوعاً وكبيرا، والنفوذ المترتب عليه جعلها لاحقا تكون بما عرف بـ(المنظمة الدولية للناطقين بالفرنسية الفرانكوفونية)، التي تأسست في ٢٠ اذار ١٩٧٠، ومقرها الرئيس في باريس ، وتنضمّ حوالي (٦٠) بلداً، حكومة ازداد عدد الأعضاء حتى بلغ في مطلع شهر كانون الأول ٢٠١٤ حوالي (٨٠) بلداً، حكومة موزعين بواقع (٥٧) عضواً ، و (٢٣) مراقباً، وعُدّ تاريخ التأسيس يوماً عالمياً للاقتفاء بالفرانكوفونية، وتضم كلّ الدول التي تعتمد الفرنسية لغةً أولى

رسمية ، أو تسمح بالتحدث بها كلغة ثانية ، أو توجد فيها أقليات تستعمل الفرنسية لغةً أولى[٩].

رابعا– على الصعيد الفكري:

إنَّ دولة بحجم فرنسا وتاريخها، دعمت بكم هائل من المفكرين والسياسيين، والأفكار، التي بنت عليها نهضتها، ففرنسا مثلت الموجة الثانية (الكيانات القومية الاوروبية) بعد أن كانت الموجة الأولى هي امبراطورية روما المقدسة ، التي انخرطت فيها : اسبانيا والبرتغال، اللتان استطاعتا التوسع الاستعماري عبر العالم الحديث وافريقيا واسيا، وإذا كانت فرنسا قد استغرقت في الأفكار القومية والدينية بالمرحلة الأولى من توسعها في العالم، فأنَّها استطاعت أن تستقبل أفكار عصر النهضة، وتزيح الملكية المطلقة، وتتبنى أفكاراً متقدمة ، والمرتبطة بالثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، وبموجبها تبنت مبادئ لحقوق الإنسان[١٠]، والجمهورية[١١] ، والسيادة للأمة[١٢]، وسواها من المفاهيم التي عدّت متقدمة بالقياس إلى اوروبا القارية، وانكلترا التي كانت متقدمة على بقية اوروبا ، في تبني قيم الحرية والحقوق.

وإنَّ تتبع أعلام فلاسفة فرنسا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين، نجد فيه أسماء كبيرة في عالم الفلسفة، والعلوم، مما أسهم بإطلاق موجة التحديث في البلاد واستمرارها، ومن بينهم: رينيه ديكارت (٣١ اذار ١٥٩٦–١١ شباط ١٦٥٠) وهو فيلسوف ورياضيات، ويعدّ مؤسس الفلسفة الحديثة ، ومؤسس العقلانية، وصاحب مبدأ الشك المشهور في العلوم الحديثة، وفرانسوا دلا روشفوكو ، أو لاروشفوكو هو فرانسوا السادس، (١٥ ايلول ١٦١٣ – ١٧ اذار ١٦٨٠) كاتب اشتهر بالحِكم والمذكرات المؤثرة بين الفرنسيين، وجان دي لابروبير (١٦ اب ١٦٤٥–١١ آيار١٦٩٦) أديباً وكاتباً ، ويعد أحد مؤسسي المسرح الفرنسي، وشارل لوي دي سيكوندا المعروف باسم مونتيسكيو (١٨ كانون الثاني ١٦٨٩ – ١٠ شباط ١٧٥٥)، كاتب وقاض وفيلسوف فرنسي، وأهم مؤلفاته (فصل السلطات) و (روح القوانين) ويعدّ أحد أهم المساهمين بالتأسيس للثورة الفرنسية، وفولتير أو فرانسوا ماري آروويه (٢١ تشرين الثاني ١٦٩٤– ٣٠ ايار ١٧٧٨)، وهو كاتب وفيلسوف منظر لعصر التنوير، ومن بين أهم الداعين للحريات المدنية ولاسيما حرية العقيدة، والمساواة وكرامة الإنسان، وجوليان جان أوفري دو لا ميتري (٢٣ تشرين الثاني ١٧٠٩ –١١ تشرين

الثاني ١٧٥١)، وهو طبيب وفيلسوف مادي وتجريبي، دافع عن المادية المتطرفة، وأعاد صياغة الفلسفة الآلية بعد رينيه ديكارت، وجان جاك روسو (٢٨حزيران ١٧١٢ – ٢ تموز ١٧٧٨) كان فيلسوفاً، وأديباً، ويعدّ من أهم كتّاب عصر التنوير، ساعدت فلسفته في تشكيل الأحداث السياسية ، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية، أهم تنظيراته عن عدم المساواة والعقد الاجتماعي ، ومكان الفرد في المجتمع، وبول هينري ثيري، بارون دي هولباخ (٨ كانون الأول ١٧٢٣–٢١ كانون الثاني ١٧٨٩)، وهو كاتب وفيلسوف وموسوعي لأب فرنسي وأم ألمانية وهو واحد من رواد عصر التنوير، ويصنفه بعضهم في ضمن الكتّاب المناهضين للكنيسة ، ولحضور الدين في الحياة، وأثرت كتاباته وأفكاره بكارل ماركس، وألفونس دو لامارتين أو الفونس دي لامارتين (٢١ تشرين الأول ١٧٩٠– ٢٨ شباط ١٨٦٩) وهو كاتب وشاعر وسياسي من الذين نظروا للثورة الفرنسية، وأوغست كونت (١٩ كانون الثاني ١٧٩٨ – ٥ ايلول ١٨٥٧) عالم اجتماع وفيلسوف، أعطى لعلم الاجتماع الاسم الذي يعرف به حالياً، أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة، يعد الأب الشرعي والمؤسس للفلسفة الوضعية، وألكسيس دو توكفيل أو ألكسيس دو طوكفيل (٢٩ تموز ١٨٠٥ –١٦ نيسان ١٨٥٩) وهو مؤرخ ومنظر سياسي اهتم بالسياسة في بعدها التاريخي، أشهر كتبه (في الديموقراطية الأمريكية)، وكتاباته كان لها اسهام بظهور الجمهورية الفرنسية الثانية (١٨٤٩–١٨٥١) ودعا إلى عملية تطوير الدولة، ودافع عن نظام الحكم البرلماني، وكان متخوفًا من الديموقراطية المفتوحة، وكان يحسب في كثير من الأحيان على اليسار السياسي، وجوزيف آرثر دو كونت غوبينو (١٤تموز ١٨١٦–١٣ تشرين الأول ١٨٨٢)، وهو أديب ودبلوماسي، اشتهر ببحوثه ودراساته في (التفاوت بين الأجناس البشرية)، وتأثر به أصحاب نظرية العنصرية الجرمانية، وغوستاف لوبون (٧ ايار ١٨٤١ – ١٣ كانون الأول ١٩٣١) طبيب ومؤرخ ، وكتب في علم الآثار وعلم الانثروبولوجيا، من أشهر مؤلفاته (حضارة العرب وحضارات الهند)، و(الحضارة المصرية)، و(حضارة العرب في الأندلس)، و (سر تقدم الأمم)، وسواها، ولوسيان ليفي– بريل (١٠ نيسان ١٨٥٧– ١٣ آذار ١٩٣٩)، فيلسوف وعالم اجتماع وأثنولوجي، كتب في عقلية المجتمعات البدائية، وألبير كامو (٧ تشرين الثاني١٩١٣ –٤ كانون الثاني ١٩٦٠) فيلسوف وجودي وكاتب مسرحي وروائي، وميشال فوكو (١٥ تشرين الأول ١٩٢٦– ٢٥ حزيران١٩٨٤)، ويعدّ من أهم فلاسفة النصف الأخير

من القرن العشرين، تأثر بالبنيويين، وعالج موضوعات مثل: الإجرام ، والعقوبات ، والممارسات الاجتماعية، وابتكر مصطلح (أركيولوجية المعرفة)، وجين باوديلارد (٢٧تموز ١٩٢٩–٦ آذار ٢٠٠٧)، وهو منظّر ثقافي وفيلسوف ، ومن أعلام ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية، وهيلين سيكسوس (٥ حزيران ١٩٣٧ –..) وهي كاتبة وفيلسوفة وناقدة أدبية، وكانت من المؤسسين للنظرية النسوية ما بعد البنيوية،...[١٣].

إنَّ كلّ هؤلاء المفكرين وماسواهم، لهم إسهامهم بجعل فرنسا من رواد عصر التحديث والنهضة والتنوير، ليس في الداخل الفرنسي فحسب ؛ بل في التاريخ الحديث، أيّ: أنَّ عصر التحديث والنهضة في فرنسا لم يكن نتاج العالم الخارجي ، وإنَّما كان نتاج تطورات داخلية استمرت منذ القرن السادس عشر صعوداً[١٤].

إنَّ المقدمات السابقة، جعلت فرنسا رائدة في النهضة والتحديث في اوروبا، وأسهمت بإحداث تحوّلات كبيرة ، ولاسيما المتعلقة بالانقلاب على أنظمة الحكم المطلقة ، والدعوة إلى تبني قيم الجمهورية ، والتحرر وحقوق الإنسان، وهو ما جسدته حملات نابليون في اوروبا، وكانت ردة فعل أمم اوروبا هي بالتحالف واسقاط الجمهورية الفرنسية ، والعودة إلى نظام توازن القوى في اوروبا في أعقاب اتفاق فينا عام ١٨١٥، وهو ما أسس لجعل قوة فرنسا ليست مطلقة في اوروبا إنَّما تقابلها قوة دول مثل: النمسا ، وروسيا والدولة العثمانية، وبريطانيا ، وبروسيا التي أخذت تنهض بسرعة، وحُكمت فرنسا من قِبل لويس الثامن عشر بين عامي ١٨١٤–١٨٢٤، ثم حكم أخوه الملك تشارلز بين عامي ١٨٢٤– ١٨٣٠، ثم تولى الملك لويس فيليب الحكم بين عامي ١٨٣٠– ١٨٤٨، وكل الملكيات بعد ١٨١٤ سمحت بقدر من الليبرالية ، ولم تكن مطلقة على غرار الممالك قبل الثورة الفرنسية، وعلى الرغم من أنَّ فرنسا شهدت ثورة ١٨٤٨ ، التي عادت إلى النظام الجمهوري (الجمهورية الثانية) بين عامي ١٨٤٨– ١٨٥١، أيّ في منتصف القرن التاسع عشر، إلّا أنَّ رئيسها (لويس نابليون بونابرت) انقلب على الجمهورية وانفرد بالحكم وسمى نفسه (نابليون الثالث) في كانون الأول ١٨٥١، ومن ثم تلاشت أفكار الثورة في: الحرية والمساواة والديموقراطية والليبرالية، إلّا أنَّ الجمهورية بقت محافظة على مبدأ: السيادة للأمة، ولم تشهد فرنسا تحوّلات ليبرالية نسبية بقبول وجود المعارضة إلّا بين عامي ١٨٦٠– ١٨٧٠.

إنَّ فرنسا في تلك المرحلة كانت قوة كبرى في المجتمع الدولي، لديها مستعمرات كثيرة حول العالم، سواء في افريقيا أو اسيا أو العالم الجديد أو في جزر متناثرة في المحيطين الهادي والاطلسي، وتظهر ملامح عصر الحداثة في البلاد بامتلاك تكنولوجيا متقدمة (بالقياس مع ذلك العصر)، ومنه اكتشاف قوة البخار واستخداماتها، إلى جانب سكك الحديد ، والسفن، وصناعات مختلفة[١٥].

وعلى الرغم من أنَّ أساس قوة فرنسا يستند إلى عقود سابقة على عام ١٨٧٠، إلّا أنَّ بروسيا كانت تنمو في قوتها بعد عدة سنوات من قيام بسمارك بتولي الحكم، ونجاحه بتوحيد معظم الولايات الالمانية، وفي عام ١٨٧٠ تضاربت مصالح نابليون الثالث مع مصالح بسمارك ؛ لإنَّ الأخير أراد توحيد كلّ الولايات الالمانية ، بينما كان نابليون الثالث يخشى من تزايد قوة بروسيا، إلى جانب نشوب خلاف بشأن من يتولى حكم المملكة الاسبانية بعد فراغ الحكم ، الذي حصل فيها عام ١٨٦٨، واندلعت الحرب في (١٩ تموز ١٨٧٠ وانتهت في ١٠ ايار ١٨٧١) بهزيمة فرنسا، بعد انتهاء الحرب أعلنت المانيا امبراطوريةً اتحادها كدولة قومية، تحت حكم الملك فيلهلم الأول، واستقطعت المانيا معظم أجزاء الالزاس واللورين من فرنسا، وهذا الانتصار اربك الاوضاع في اوروبا ؛ لإنَّه أظهر المانيا كقوة كبرى في القارة، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنَّ انتصار المانيا على فرنسا تسبب بنتائج عدّة هامة في التاريخ الحديث ، منها:

١. إعادة النظر بالتحالفات بين القوى الكبرى، وكان معظمها تحالفات ريعة ومؤقتة، انتهت إلى مضاعفة حجم التنافس ، والصراع بين القوى الكبرى.
٢. أعلنت فرنسا الإصلاح، فقد رأت ضرورة استعادة الكرامة الوطنية، على الرغم من أنَّ المانيا لم تفرض على فرنسا شروطاً مهينة في أعقاب انتصارها حتى لا تؤسس لحرب جديدة.
٣. مهدت التفاعلات المترتبة على انتصار المانيا ؛ لتعزيز علاقات التنافس ، والصراع وهو أهم أسباب اندلاع الحرب العالمية الأولى.
٤. أخذ بعض الفلاسفة يدعو إلى تبني طرق غير عسكرية لدعم التقارب بين الشعوب، وتبني دعوات لتسوية النزاعات بالطرق السلمية، ومثالها دعوة الفرنسي: بيير دي كوبرتين (مؤسسة الالعاب الأولمبية الحديثة ١٨٦٣– ١٩٣٧)، لإقامة الألعاب الأولمبية، بوصفها

وسيلة ناجحة للتعبير عن الشعور القومي بدلاً عن اللجوء إلى الحروب، أيّ أنَّها منافسات سلمية ، توحيد مختلف البلدان بوصفها أفضل وسيلة لتجنب الحروب[١٦].

وما يهمنا هنا أنَّ هزيمة فرنسا أفقدتها جزءاً من هيبتها، وهي ما قادتها إلى البدء بمشروع إصلاح، وتأسيس الجمهورية الثالثة التي أخذت استقرارها عام ١٨٧٥، واستمرت حتى ١٠ تموز ١٩٤٠ عندما تشكلت حكومة فيشي (١٠ تموز ١٩٤٠– ٢٩ آب ١٩٤٤) في فرنسا بدعم من الحكومة الالمانية أثناء الحرب العالمية الثانية، وأسست الجمهورية الثالثة كثيراً من الممتلكات الاستعمارية الجديدة، ومن ضمنها: الهند الصينية الفرنسية ، ومدغشقر الفرنسية وبولينزيا الفرنسية ، ومساحات شاسعة في غرب أفريقيا أثناء مرحلة التدافع على أفريقيا، جميعها اكتُسبت في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين[١٧].

إنَّ تتبع موضوع تجربة التحديث الذي سارت به فرنسا بعد عام ١٨٧١ نلاحظ أنَّه انطوى على استمرار التركيز على موضوعات:

١. الحضارة الفرنسية لها خصوصيتها مقابل الحضارات: البريطانية والروسية والالمانية، فهي حضارة لها خصوصيتها اللغوية، وطريقة ادارتها للتفاعلات والسياسات الداخلية والخارجية.
٢. تعدّ الجامعات الفرنسية واحدة من المراكز المتقدمة في الحضارة الإنسانية في التاريخ الحديث، إذ أسهمت بتقديم رؤى وطروحات متقدمة في عصر الحداثة.
٣. إنَّ فرنسا قدمت للإنسانية مبدأ سيادة الأمة، ومن ثم فأنَّها تعدّ رائدة في التوجهات الليبرالية، ورافضة للاستبداد.
٤. إنَّ فرنسا قدمت جزءاً من الاكتشافات العالمية الهامة، سواء على الصعيد الفكري أم الثقافي، كما في كتب (روح القوانين) و(فصل السلطات)، وأفكار مثل (العقد الاجتماعي)، وسواها من التنظيرات الهامة التي أسهمت بحدوث تحوّلات في الفكر السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، ليس في فرنسا فحسب؛ بل في كلّ العالم.
٥. والنقطة الأخرى التي ما تزال تقترن بفرنسا إنَّ الأخيرة مثلت واحدة من مدرستين تحكمت فلسفتها بالقانون الوضعي في كلّ العالم لمراحل طويلة، وهما المدرسة الفرنسية ،

والمدرسة الانكليزية، وتعدّ معظم الدول العربية متأثرة بالطروحات التي تتبناها المدرسة الفرنسية في هذا الحقل الهام من العلوم الحديثة[١٨].

٦. إنَّ فرنسا قدمت جزءاً من الاكتشافات العالمية الهامة، ومنها عالم الكيمياء الفرنسي لويس باستور (٢٧ كانون الأول ١٨٢٢-٢٨ ايلول ١٨٩٥)، أهم مؤسسي علم الأحياء الدقيقة في الطب، وأسهم بإعداد لقاحات مضادة لعدد من الأمراض، فضلاً عن عملية حفظ الأغذية (البسترة)، وكل ما انتجته فرنسا أسهم في إحداث تغيير ملحوظ سياسياً ، واقتصادياً ،وثقافياً.

٧. إنَّ الدارس لتاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين، لايمكنه أن يتجاهل ما للثورة الفرنسية من آثار هامة في فرنسا والقارة الأوروبية والعالم، فقد تغيّرت طبقات المجتمع الفرنسي، وظهر إلى الوجود طبقة جديدة هي البرجوازية، وهي دون جدال أهم وأخصب طبقات المجتمع، فهي أكثرها عدداً ، وأحفظها للتراث وللتقاليد وللعادات، ومنها تخرّجت أهم شرائح المجتمع ، وأعني بها الطبقة المثقفة، والأكثر منه إنَّ الوصول إلى تلك الطبقة مقترن بالتعليم ، وليس بعوامل ثابتة مثل الأنساب والعوائل والعوامل الدينية[١٩].

٨. إنَّ هدف فرنسا لا ينحصر باوروبا، على الرغم من أنَّ نابليون وضع جزءاً من توجهاته للسيادة على اوروبا مستهل القرن التاسع عشر، ولهذا نجد أنَّ فرنسا وسعت بكثافة من مستعمراتها بعد خسارتها الحرب مع المانيا عام١٨٧٠- ١٨٧١[٢٠].

أمّا المرحلة الممتدة بين عامي ١٩١٨- ١٩٣٨، وهي مرحلة ما بعد تسويات مؤتمر فرساي أو تسويات الحرب العالمية الأولى، فالواضح أنَّ فرنسا عاشت فيها مرحلة ، تمثل امتداداً لمرحلة ما قبل تلك الحرب، إذ لم يحصل تغييرات كبيرة على مكانة فرنسا ، أو سياساتها داخليا أو إقليميا أو دوليا، فقد استمرت تنظر لألمانيا منافساً على الرغم من قيود تسويات الحرب العالمية الأولى.

المبحث الثاني : تجربة فرنسا في التحديث بعد الحرب العالمية الثانية.

تعرضت فرنسا لأكبر نكسة أثناء الحرب العالمية الثانية، فمن جانب فأنَّ الجمهورية الثالثة التي تأسست عام ١٨٧٥ تلاشت بسرعة بفعل الاحتلال الالماني لأراضي فرنسا، وهو ما مثّل ثاني احتلال للألمان للأراضي الفرنسية بعد هزيمة عام ١٨٧٠-

١٨٧١، على الرغم من أنَّ قدرات فرنسا العسكرية منتشرة حول العالم، وبدعم جهود من الولايات المتحدة وبريطانيا وقدرات بشرية من الشعوب ، التي تستعمرها فرنسا مثلت معظم القوة العسكرية الفرنسية ، التي خاضت بها المتبقي من الحرب العالمية الثانية، فأنَّ فرنسا استطاعت استعادة الأراضي الفرنسية، لتبدأ بعدها مرحلة استعادة مكانتها الطبيعية في عالم ما بعد تلك الحرب.

وتعرضت فرنسا لخسائر كبيرة بفعل الحرب العالمية الثانية، جعلتها تخسر كثيراً من مكاسبها عبر القرون السابقة، وهو ما تمثل بقبولها السريع بالمكانة التي أخذت تتمتع بها الولايات المتحدة عالمياً، وقبلت باستقلال متتابع لمستعمراتها حول العالم، ولم يبقَ لها سوى مستعمرات محدودة، بقيت مرتبطة بفرنسا لأسباب مختلفة مثلّت أراضي ما وراء البحار، وعدّ سكانها فرنسيين على الرغم من أنَّ أصولهم الاثنية غير فرنسية ، أو غير اوروبية، فضلاً عن أنَّ فرنسا استمرت ترتبط بالسكان ذوي الأصول الفرنسية في قارات عدّة ، أو بالشعوب التي تبنت اللغة الفرنسية كلغة أولى ، أو كلغة ثانية ، أو كلغة لأقليات فيها، عبر المنظمة الدولية للفرانكفونية[٢١].

وشهدت فرنسا عام ١٩٤٤ سقوط حكومة فيشي التي نصبتها المانيا ١٠ حزيران ١٩٤٠، وتشكلت حكومة ائتلافية ثلاثية بين : الشيوعيين ، والاشتراكيين ، والديموقراطيين المسيحيين من جهة ، والفرع الفرنسي للمنظمة العمالية الدولية من جهة ثانية، والحركة الجمهورية الشعبية من جهة ثالثة، واتفقوا على تأسيس الجمهورية الرابعة عام ١٩٤٦، وهي جمهورية برلمانية، وجاء صعود هذه الأحزاب على أثر الرفض الذي حظى به التيار اليميني بوصفه تحالفاً مع الالمان، ورفض للحزب الراديكالي ؛ لإنَّه فشل في إدارة فرنسا قبل الحرب، إلّا أنَّ هذه الجمهورية كانت غير مستقرة بسبب التباين في التوجهات بين القوى السياسية ، وغياب المعظمية القادرة على تشكيل حكومة مستقرة، فضلاً عن التباين في التعامل مع المستعمرات والشعوب ، التي تحتلها فرنسا في الهند الصينية[٢٢]، وفي شرق افريقيا، وهو ما قاد إلى تفكك الجمهورية، وظهور الجمهورية الخامسة عام ١٩٥٨ بزعامة شارل ديغول[٢٣].

إنَّ ما تعرضت له فرنسا جعلها تنسحب من جزء من نفوذها العالمي، إلّا أنَّها استعاضت عنه بالحضور الثقافي العالمي، واستمرار استخدام جزء من التركة والتراث الفكري

الفرنسي على أصعدة ومنها: القانون، وفصل السلطات ، ونظام الحكم شبه الرئاسي ، الذي طورته فرنسا عام ١٩٥٨، إلى جانب نظام الحريات ، والحقوق الذي عدّت فرنسا متقدمة فيه.

أمّا على الصعيد العلمي، فأنَّ فرنسا استطاعت تجاوز نتائج الحرب بسرعة، نظرا لتراكم الامكانات الذي تتمتع به علميا وعسكريا، فضلا عن وجود ١٥٠٠ مركز للبحث والتطوير العلمي والفني، فمثلا انها استطاعت أن تنتج القنبلة النووية عام ١٩٥٧، بينما فجرت قنبلتها الهيدروجينية عام ١٩٦٦، وبينهما قامت بـ ١٩٣ تجربة نووية، أهم المؤشرات على تطور الامكانات العلمية التي تتمتع بها هذه الدولة في ذلك الوقت[٢٤].

ويمكن تلمس جزءاً من النهضة الفرنسية عبر المؤشر الاقتصادي، فقد بلغ الناتج المحلي الاجمالي نحو ٦٧,٩ مليار دولار عام ١٩٦١، وارتفع إلى ١٤٨,٤٥ مليار دولار عام ١٩٧٠، و٧٠١,٢٨ مليار دولار عام ١٩٨٠، و١٢٦٩,١٧ مليار دولار عام١٩٩٠، واستمرت تحتل المركز الخامس كأكبر اقتصاد في العالم بعد الولايات المتحدة والمانيا واليابان وبريطانيا بين عامي١٩٦١- ١٩٩٠، وتكنولوجيا، وتعدّ من القوى الصناعية الكبرى، وعضواً في مجموعة الدول الصناعية السبع أيضاً(مع الولايات المتحدة وكندا واليابان والمانيا وبريطانيا وايطاليا) ، التي تأسست عام ١٩٧٦ بقصد تنسيق السياسات الاقتصادية والمالية والتكنولوجية.

إنَّ واحدة من أهم العوامل التي تسهم باستمرار نهضة فرنسا هي جامعاتها، فالجامعات الفرنسية تحظى بسمعة اكاديمية جيدة، وتنتهي مخرجاتها إلى رفد كلّ ما يمكنه أن يسهم بتطور فرنسا علميا وثقافيا، وعلى صعد النظريات المختلفة، والأهم من ذلك أنَّ فرنسا اتجهت إلى قبول نسبي للمهاجرين للمساهمة بعملية دعم النمو والنهضة في البلاد، وهو متغير أسهم بجعل بعض الكفاءات من دول مختلفة[٢٥] تشارك باستمرار النهضة الفرنسية.

وذهب عالم الاجتماع الفرنسي: جان لويس فابياني (٣٠ ايار ١٩٥١-..) من مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية، الجامعة الأوروبية المركزية، للقول: إنَّ فرنسا شهدت بعد الحرب العالمية الثانية تحديثاً في الأسس الفلسفية، ونجحت المدرسة الفرنسية في

تقديم التنظيرات الكثيرة لمرحلة ما بعد تلك الحرب، ومنها البنيوية، والوجودية ، وما بعد الحداثة[٢٦].

ويمكن أن نتتبع التنظيرات الفلسفية الجديدة التي أخذت تسود في العالم، ومنها:

١- البنيوية : (وهي حركة فلسفية تطورت في فرنسا في خمسينات القرن العشرين ردا على الفلسفة الوجودية، وتدعو إلى دمج مجموعة علوم: إنسانية ، واجتماعية ، واقتصادية ، ولغوية وتاريخية ؛ من أجل فهم العناصر والعلاقات، التي تقترن بموضوع ما، وأهم علماء البنيوية الفرنسين هم عالم الأنثروبولوجيا كلود ليفي ستروس، وعالمي التحليل النفسي جاك لاكان وجيل دولوز،ومن الفلاسفة ميشيل فوكو وجاك دريدا، والفيلسوف الماركسي لويس ألثاسر)[٢٧].

٢- والوجودية : هي المدرسة الفلسفية التي تتخذ من الإنسان موضوعا لها، ليس من خلال التفكير فحسب؛ بل من خلال الفعل والشعور أيضاً ، أيّ أنَّها ترتبط بالإنسان كفرد حي، وانتشرت الوجودية في فرنسا في أربعينات القرن العشرين بفعل كتابات الفيلسوف والكاتب: جان بول سارتر (٢١ حزيران ١٩٠٥- ١٥ نيسان ١٩٨٠)، إلّا أنَّها أخذت تتراجع سريعاً في الخمسينات من ذلك القرن[٢٨].

٣- ما بعد الحداثة : وهو من المعارف والفلسفات التي ظهرت في فرنسا عام ١٩٧١ ، وما بعدها، ومن الاسهامات الهامة فيه هي ما كتبه الكاتب الفرنسي: جان فرانسوا ليوتار (حالة ما بعد الحداثة : تقرير عن المعرفة) عام ١٩٧٩، وتعبّر كلمة ما بعد الحداثة عن مرحلة تتميز بالشعور بالإحباط من الحداثة ، ومحاولة نقد هذه المرحلة، والبحث عن خيارات جديدة، أيّ أنَّ الفلسفة تبحث عن أشياء خارج الحاضر، فهي عبارة عن مشروع ثقافي ، أو أعمال في الأدب والعمارة والتصميم، والأعمال التجارية، وفي تفسير التاريخ والثقافة، وقسم من الكتاب يرجع التطور الحاصل في هذه الفلسفة إلى أنَّها ردُ فعلٍ على الحداثة، وما انتهت إليه من ظهور للفاشية في اوروبا، ومن ثم اندلاع الحرب العالمية الثانية، أيّ: ظهور نزعة الشك من الحداثة السياسية والاقتصادية، وهو ما صار يطرح موضوعات كثيرة للبحث ، والجدل الفكري والفلسفي سبق للحداثة أن تناولته ومنها: الهوية

، والوحدة ، والسلطة ، واليقين،.. وصار خطاب ما بعد الحداثة يتحدث عن عالم يمكن أن يسوده : الفروق القابلة للملاحظة، والانفصال، والتشكك، وماسواها [٢٩].

وفضلاً عن تنظيرات سواها مما عرفت عنه فرنسا بوصفها مصدراً أو المكان الذي ظهرت ، أو اتسع فيها تداول تلك النظريات والطروحات.

وهكذا، نجد أنَّ اسهام المدرسة الفلسفية الفرنسية بالنظريات المختلفة يمثل اسهام قابل للملاحظة، وتطرح اسماء كثيرة لعلماء فرنسيون لهم اسهام في تخصصاتهم، بعد الحرب العالمية الثانية، ومنهم، مثلاً: جاك سوستال (٣ شباط ١٩١٢– ٦ آب١٩٩٠)، وهو عالم إثنيات وسياسي وأكاديمي، وكلود ليفي ستروس (٢٨ تشرين الثاني ١٩٠٨– ٣٠ تشرين الأول ٢٠٠٩)، وهو عالم اجتماع وأنثروبولوجي، يعد من أهم البنيويين المعاصرين، وأكثرهم شهرة، حتى أنَّ البنيوية ترتبط باسمه ارتباطاً مباشراً، ودافيد لوبروتون (٢٦ تشرين الأول ١٩٥٣– ..)، وهو عالم أنثروبولوجي، وأستاذ بجامعة ستراسبورغ، مختص بدراسة علم السلوك المرتبط بالعوامل الاثنية، وجاك أتالي (١ تشرين الثاني ١٩٤٣– ..)، وهو من أهم المنظرين في حقل الاقتصاد والاجتماع، وترأس البرنامج الأوروبي يوريكا EUREKA، المخصص لتنمية التكنولوجيات الجديدة، وغيرهم الكثير.

إنَّ عصر التحديث يمثل مرحلة تنسجم فيها الأشياء مع احتياجات العصر، ولا يحدث انقطاع عنه، وفرنسا بما تمثله من امكانات قد وجدت نفسها وصلت إلى مرحلة الرفاهية الداخلية، وتركت موضوعات كثيرة بعيدة عن اهتمام السلطة والدولة ومنها: أنَّها قامت بفصل الدين عن الدولة، فالدولة لا تلتزم ديناً محدداً على الرغم من أنَّ معظم السكان من المسيحيين الكاثوليك، ففي دراسة نظّمها معهد مونتين (Institut Montaigne) عام ٢٠١١، توصل إلى أنَّ المجتمع الفرنسي منقسم دينياً إلى: ٥١,١% يعرفون أنفسهم كمسيحيين، و٣٩,٦% يعرفون أنفسهم من غير دين، و٥,٦% يعرفون أنفسهم كمسلمين، و٣,٧% كمعتنقين لأديان مختلفة، على الرغم من أنَّ الدولة تعدّ بعض الأعياد المسيحية كأديان وطنية[٣٠].

واتجهت الدولة إلى ممارسة سياسة متسامحة مع المهاجرين في الستينات والسبعينات والثمانينات من القرن العشرين، من أجل الإسهام بتلبية اليد العاملة لمعظم المؤسسات الاقتصادية الفرنسية.

وقد اهتمت الدولة الفرنسية في تاريخها الحديث ، التالي لانتهاء الحرب الباردة تحديداً بموضوع هام مفاده : أنَّ العالم قد خفض اعتماد استخدام القوة العسكرية عالمياً، وأنَّ الاهتمام أصبح منصباً على الاقتصاد، وهذا الموضوع جعل فرنسا تقبل سياسات عدّة بشكل متزامن، نوعاً من التعبير عن رغبتها بالتنافس عالمياً، ومنها:

١. العمل على التوسع بالجماعة الاوروبية وبلوغها مرحلة الاتحاد عام ١٩٩٢، فالمعروف أنَّ الجماعة الاوروبية التي انطلقت منتصف القرن العشرين ضمت دولاً عدة أهمها: فرنسا ، والمانيا ، كأكبر قوتين اوروبيتين اقتصادياً ، ومن حيث عدد السكان أيضاً، إلّا أنَّ فرنسا تعد قوة سياسية (عضو دائم في مجلس الامن التابع للأمم المتحدة) وقوة عسكرية و(لامتلاكها قدرة تصنيع كلّ أنواع الأسلحة ومنها الأسلحة النووية ، ونشر جزء من قواتها خارج فرنسا) على عكس المانيا المقيدة بالتزامات تسويات الحرب العالمية الثانية، وفي عام ١٩٩٢ قبلت فرنسا التحوّل بالجماعة إلى صيغة اتحاد، وهو ما يعني مزيدا من التعاون غير المقيد في إطار اوروبي واسع، سياسيا وأمنيا واقتصاديا ، وثقافيا بما يمنح فرنسا وسواها مرونة في التعامل الاوروبي والدولي ؛ لإنَّ كلّ دولة مدعومة بغطاء الاتحاد.

٢. العمل على الانتقال إلى العملة الاوروبية الموحدة، وهو ما جرى في عام ١٩٩٩، الذي تخلت بموجبه فرنسا عن عملتها الوطنية لصالح عملة أكبر واكثر انتشار اوروبياً وعالمياً، وهو ما يعني مزيد من الفرص والمكانة الاقتصادية لفرنسا بحكم ان اقتصادها يعد في عام ٢٠٠٥ سادس أكبر اقتصاد في العالم بعد: الولايات المتحدة ، واليابان ، والصين ، والمانيا ، وبريطانيا.

٣. العمل على فتح مداخل كثيرة للتعاون مع المجموعات ، التي كانت تحسب على الأراضي والشعوب التي احتلتها فرنسا، سواء بصيغة منفردة ، أو ضمن آليات تعاون الاتحاد الاوروبي، ومنها مع الدول العربية العامة (المتوسطية) الذي أطلق عام ١٩٧٥ ثم أعيد تنشيطه عام ١٩٩٥[٣١] ، أو للدول المغاربية خاصة[٣٢]، أو مع كلّ القارة الافريقية[٣٣].

٤. الاهتمام بالمجموعة الفرانكفونية، بوصفها تعبيراً عن محتوى ثقافي يمكن أن يمنح فرنسا نوعاً من النفوذ والتأثير بين شعوب ناطقة باللغة الفرنسية.

إنَّ مشروع فرنسا ينطوي على السماح بقدر كبير من التنافس مع المانيا لزعامة اوروبا، بوصفه مدخلاً يمكن أن يعزز مكانة فرنسا عالمياً ؛ لإنَّ الاتحاد يمتلك ناتجاً محلياً يفوق الناتج المحلي للولايات المتحدة، بوصفها اتحاداً، وفيه كثير من القدرات العلمية والمالية والعسكرية، وله اطلالة جغرافية هامة، فضلاً عن الحضور التاريخ الاوروبي عامة، وبضمنه التاريخ الفرنسي في معظم التاريخ العالمي الحديث بفعل إرث الاستعمار.

الخاتمة

نجحت فرنسا في التطبيق العملي لسياسات التحديث ، التي أقرتها بعد الحرب العالمية الثانية، عندما خرجت مدمرة منها، إذ وظّفت الموارد المتاحة لتبدأ عملية التحديث الشاملة، وذلك لإنَّ ما تعرضت له جعلها تنسحب من جزء من نفوذها العالمي، إلّا أنَّها استعاضت عنه بالحضور الثقافي العالمي، وذلك بما تمثله من امكانات وجدت نفسها قد وصلت إلى مرحلة الرفاهية الداخلية، وتركت موضوعات كثيرة بعيدة عن اهتمام السلطة والدولة ومنها: أنَّها قامت بفصل الدين عن الدولة ، واتجهت الدولة إلى ممارسة سياسة متسامحة مع المهاجرين في الستينات ، والسبعينات والثمانينات من القرن العشرين، من أجل الإسهام بتلبية اليد العاملة لمعظم المؤسسات الاقتصادية الفرنسية، وإنَّ الدولة الفرنسية ذهبت للاهتمام بموضوع الاقتصاد، هذا الموضوع جعل فرنسا تقبل سياسات عدّة بشكل متزامن، نوعاً من التعبير عن رغبتها بالتنافس عالمياً.

وجاءت هذه الرغبة بعد أن نجحت فرنسا في تجربة التحديث، وكانت متفوقة في الجانب العلمي، وإنَّ المؤشرات الاقتصادية تدلّ دلالة واضحة على نجاح التجربة التي أوصلت فرنسا لتصبح واحدة من أهم الدول الاوربية.

المصادر والمراجع

١- محمد احمد عقلة المومني، الجغرافيا السياسية والجيوبولوتيكا في القرن الواحد والعشرين، دار الكتاب الثقافي، عمان، ٢٠٠٥، ص١١٥-١١٦. وأيضاً: جودة حسنين جودة، جغرافية أوروبا الاقليمية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٧٣.

٢ -عبد السلام جمعة زاقود، العلاقات الدولية في ظل النظام العالمي الجديد، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣، ص ٦٩.

٣ - مصطفى محمد الحناوي، عصر الحروب الصليبية: الفرسان الإستبارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٦، ص٣٢.

٤-Central Statistics Office, Vital Statistics - 4th Qtr and Yearly Summary 2012, p: 36

٥- John Koch, Celtic Culture: a historical encyclopedia. Santa Barbara: ABC-Clio, 2005, p: 10.

٦-Lorna Jantzen, The Advantages of Analyzing Ethnic Attitudes Across Generation – Results from the Ethnic Diversity Survey, In: Adsett Margaret, and Caroline Mallandain (eds), Canadian and French perspectives on diversity, Ottawa: Canadian Heritage, Minister of Public Works and Government Services Canada, 2005, p: 111

٧ -إدريس بوسكين، أوروبا والهجرة: الإسلام في أوروبا، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص١٧٩. وأيضاً:

Trends in International Migrant Stock: The 2015 Revision, Population Division, oct2015,in: https://www.un.org/en/development/desa/population/migration/data/estimates2/estimates15.asp

٨ - معاهدة اوترخت جرت لتسوية حروب خلافة العرش الاسباني بين عامي ١٧٠١- ١٧١٤، بين فرنسا واسبانيا من جهة ، وبين انكلترا والنمسا من جهة اخرى، ومنحت فيها فرنسا لانكلترا مستعمرة خليج هدسون في نيو فاوندلاند في العالم الجديد ، في مقابل الاعتراف بالنفوذ الفرنسي في اسبانيا – إلى جانب البنود الأخرى التي نصّت عليها تلك المعاهدة. ينظر:

James Falkner, The War of the Spanish Succession 1701-1714,Pen and Sword, Barnsley Chronicle, London, 2015, p: 205.

٩ -عمرو موسى، كتابيه، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٧، ص١٢٣.

١٠ -تعد حقوق الإنسان واحدة من القضايا التي لم تكن موضع احترام في اوروبا في عصر الملكيات المطلقة، وإنَّما كان الأفراد موزعين على طبقات، العلاقة فيما بينها مبنية على الاستغلال، إلى جانب هيمنة الكنيسة وعلاقاتها مع كل من الاقطاع والسلطة، وكانت أفكار ما عرف بـ (العقد الاجتماعي) لجان جاك روسو، وغيره من رواد فلسفة الانوار في فرنسا، أفكاراً متقدمة، تدعو إلى عدم تقييد الإنسان، بل وتقييد السلطة ؛ لإنَّها جاءت استثناء على الأصل: الحالة الطبيعية التي لم يكن الإنسان يعيش فيها بقيود، وإنَّما جاءت القيود لاحقا لأجل تنظيم الحياة والسلطة، وأول من تبنى مسالة الدفاع عن حقوق الإنسان، خارج دائرة التنظير والفلسفات، هي انكلترا بصياغة ما عرف بـ (المكناكارتر) أو ميثاق الحقوق العظيم، الذي اقر بوجود حقوق للأفراد. ثم جاءت الثورة الامريكية عام ١٧٧٤ ، التي مثلت حركة متقدمة في إقرار حقوق الإنسان في وجه أي حالة تسلطية موجودة، ثم جاءت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ لتمثل حالة متقدمة، في ظل وجود الحكم المطلق في بقية اوروبا، واتجهت حكومة فرنسا بعد الثورة لدعم الحركات الاصلاحية في كل اوروبا، ثم عمد نابليون بونابرت، حاكم فرنسا في مستهل القرن التاسع عشر على خوض حروبه خارج

اوروبا وداخلها، بقصد نشر قيم الثورة الفرنسية، وأيضاً لإسقاط نظم الحكم عبر استخدام شعارات الثورة في تحريك الشعوب والحصول على دعمها، وبالفعل استطاع أن يصل إلى تخوم روسيا، إلّا أنَّ أمم اوروبا تحركت ضده، وانهت حكمه عام ١٨١٤، وعقدت أمم اوروبا مؤتمر فينا، عام ١٨١٥ ، واتفق فيه على العودة إلى سياسة توازن القوى، واعادة الملكيات المطلقة في إمارات وممالك اوروبا. ينظر: شهاب طالب الزوبعي، ورشيد الجزراوي، الحماية الدولية والإقليمية لحقوق الإنسان مركز الكتاب الاكاديمي، عمان، ٢٠١٥، ص٤٣.وأيضاً: حسين فوزي النجار، الاسلام والسياسة، دار الشعب للنشر، القاهرة، ١٩٧٧، ص١٠٤-١٠٥.

١١ - تتباين أنظمة الحكم في العالم، ففي اوروبا في القرن السابع عشر كانت أمم اوروبا تعرف الملكيات المطلقة، باستثناء انكلترا التي تعرف الملكية الدستورية المقيدة نسبيا، ولم تكن هناك نظم حكم أخرى، إلا أنَّ الولايات المتحدة طورت أول نظام حكم عملي هو نظام حكم جمهوري، أي أن يكون هناك رئيس منتخب لمدة محدودة، يكون مسؤولاً أمام مجلس نيابي يتم انتخابه من قبل الشعب، ثم جاءت الثورة الفرنسية لتعلن قيام حكم جمهوري في وسط قارة اوروبا، وهو ما مثل ثورة في وجه الملكيات المطلقة. ينظر: غوستاف لوبون، روح الثورات والثورة الفرنسية، ترجمة، عادل زعتر، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢، ص٤٢.

١٢- كانت أمم اوروبا قد طورت نظريات حكم قائمة على الحق الالهي، ثم السيادة لملك مطلق مفوض من اله، ثم السيادة لملك مطلق، وهنا يقول الملك لويس الخامس عشر عام ١٧٧٠ ميلادي:" اننا لم نتلق التاج الّا من الرب، فسلطة عمل القوانين هي من اختصاصنا وحدنا لا يشاركنا في ذلك احد، ولا نخضع في عملنا لاحد".

ولم تعترف كل أنظمة حكم اوروبا بوجود سيادة للشعب أو للأمة، ومثل هذا التطور حصل نسبيا في انكلترا بالاعتراف بحقوق للشعب، في القرن السابع عشر، ثم جاءت الثورة الفرنسية لتقر السيادة للامة، وهو ما مثل تطوراً كبيراً في الفكر السياسي، وذلك لإنَّ الحاكم يستمد سلطاته من الأمة وليس من أي شيء آخر. ينظر: محمد كامل ليلة، النظم السياسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢، ص٨٤.

١٣ -ينظر مثلا: هاشم صالح، الانسداد التاريخي: لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي؟، دار الساقي، لندن، ٢٠١٧، ص٦١. وأيضاً: محمد محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة، ٢٠٠٨، ص٢٤٥. وأيضاً: أحمد عبد الحليم عطية، جاك دريدا والتفكيك، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٠، ص١٦.

١٤ - وجدا سندسنى، الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر، ترجمة مدحت عايد فهمي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٨-١٩.

١٥ - الهام محمد علي ذهني، سياسة فرنسا التوسعية في شرق افريقيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر: (مدغشقر، جزر القمر، الصومال الفرنسي)، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٧، ص٨٤ وما بعدها.

١٦ -A. Ramm highlights three difficulties with the argument that Bismarck planned or provoked a French attack. Agatha Ramm, Germany 1789-1919, Methuen & Co. Ltd, London, 1967, p: 308-313.

١٧ -جاك توبي، الامبريالية الفرنسية والولايات العربية في السلطنة العثمانية١٨٤٠-١٩١٤، ترجمة فارس عصوب، مراجعة مسعود ضاهر، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٠، ص ٧-١٠.

١٨ -عبد الكريم مدون، مصر وفرنسا. العلاقات الاقتصادية والقانونية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٦، ص٢١٠.

١٩ -آمال السبكي، أوروبا في القرن التاسع عشر فرنسا في مئة عام، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٥، ص١٩-٢٠.

٢٠ -وجدا سندسنى، المصدر السابق، ص١٠٣.

٢١ -تأسست المنظمة في ٢٠ اذار ١٩٧٠، لتكون إطاراً للحوار بين ٥٨ دولة عضواً، و٢٦ دولة بوصفها مراقباً ، وتهدف المنظمة للترويج للثقافة واللغة الفرنسية عالمياً، وأهميتها أنَّ المنظمة تتعامل مع نحو ٢٧٠ مليون إنسان وفقا لإحصاءات عام ٢٠٠٥، ناطقين بشكل رئيس للغة الفرنسية حول العالم.
ينظر: إبراهيم السكران، مالات الخطاب المدني، مركز الفكر المعاصر، الرياض، ٢٠١٤، ص٢٩.
٢٢ - هي مجموعة شعوب احتلتها فرنسا في القرن الثامن والتاسع عشر، وتتمثل بكل من: لاوس، وكمبوديا وفيتنام وتايلندا وسنغافورة، وقد ادركت فرنسا عام ١٩٤٦ أنَّها لا تستطيع الاستمرار باحتلال تلك المنطقة، فمنحتها الاستقلال تباعا باستثناء فيتنام ، التي انخرطت فيها الولايات المتحدة نهاية خمسينيات القرن الماضي لأسباب متخلفة ، مما جعلها تتورط في صراع استمر عملياً حتى عام ١٩٧٣ ورسمياً حتى عام ١٩٧٥. ينظر: محمد محمد حسنين، الاتحاد الفرنسي: الجماعة الفرنسية فرنسا فيما وراء البحار: دراسة سياسية قانونية تحليلية مقارنة، بلا دار نشر، ١٩٦٠، ص١٧. وأيضاً: فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية: الجزء الخامس، دار اسامة للنشر، عمان، ٢٠٠٣، ص١٩٢١.
٢٣ - الجنرال شارل ديغول (٢٢ تشرين الاول ١٨٩٠-٩ تشرين الاول ١٩٧٠)، عسكري تولى رئاسة الجمهورية الفرنسية ٨ كانون الثاني ١٩٥٨-٢٨ نيسان ١٩٦٩، وعد مؤسس الجمهورية الخامسة.
٢٤ -أثمار ثامر جامل العبيدي، دور المسؤولية الدولية عن الأضرار التي تسببها النفايات النووية، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، الجيزة، ٢٠١٨، ص٢١٠.
٢٥ - منهم على سبيل المثال، عالم الالكترونيات: رشيد اليزمي، وهو مهندس وعالم مغربي الأصل فرنسي الجنسية، (١٩٥٣- ..)، أسهم بتطوير مصعد الغرافيت، وطوّر بطاريات أيون الليثيوم، قابلة للشحن، فضلا عن اختراعات عدّة في مجال الإلكترونيات المحمولة.
Report, New materials for nomadic batteries: Lithium batteries, rechargeable or not, Apr 2017, in: http://www.cnrs.fr/dire/creation-entreprises/docs/2008I_CFX_BATTERY.pdf
٢٦ -جان لويس فابياني، فرنسا وفلاسفتها في مئة عام: المفاهيم وحياتها الاجتماعية، ترجمة: وجيه البعيني دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٤٥.
٢٧-D'Andrade, R. , The development of cognitive anthropology. Cambridge: Cambridge University Press, 1995, p: 4-5.
٢٨-Thomas Flynn , Existentialism - A Very Short Introduction. New York: Oxford University Press Inc, 2006, p: 6
٢٩- كريستوفر باتلر، ما بعد الحداثة، ترجمة نيڤنيعبدالرؤوف، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٥، ص١٢-١٣.
٣٠-A French Islam is possible, Institut Montaigne, Paris, oct 2011, p: 13.
٣١ -جمعه بن على بن جمعه، الأمن العربي في عالم متغير، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٠، ص٢٦-٢٨.
٣٢ - صلاح سالم، تجليات العقل السياسى ومستقبل النظام العربى، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٣١-٣٢.
٣٣ -مصطفى عثمان اسماعيل، قضايا إفريقية معاصرة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٨، ص١٧.